بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:262].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:195].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ:39].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم:31].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول يومَ القيامة: يا ابنَ آدمَ مَرِضْتُ فلم تَعُدْني، قال: يا رب كَيْفَ أعُودُكَ وأنتَ ربُّ العالمين؟! قال: أمَا علمتَ أنَّ عبدي فلاناً مَرِضَ فلم تَعُدْهُ؟ أما علمتَ أنَّكَ لو عُدْتَهُ لوجَدتني عنده؟! يا ابنَ آدمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فلم تُطعمني، قال: يا رب، كيف أطعِمُكَ وأنتَ ربُّ العالمين؟! قال: أمَا علمتَ أنه استطعمكَ عبدي فلانٌ فلم تُطْعِمْهُ، أمَا علمتَ أنَّكَ لو أطعمته لوجدتَ ذلك عندي؟! يا ابنَ آدم، استَسقيتُكَ فلم تَسْقني، قال:يا رب، وكيف أسقِيكَ وأنتَ ربُّ العالمين؟ قال: اسْتَسقَاكَ عبدي فلانٌ، فلم تَسْقِه، أما إنَّك لو سَقَيْتَهُ وجدتَ ذلك عندي))** [رواه مسلم].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بينما نحن في سفرٍ مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءَ رجل على رَاحِلَة له، قال: فجعل يَصْرِفُ بصره يميناً وشمالاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((من كان معه فضلُ ظَهْرٍ فلْيَعدُ به على من لا ظَهْرَ له، ومن كان له فضل من زادٍ فليعُد به على من لا زاد له))**،

قال: فذكر من أصناف المال ما ذَكَر حتى رأينا أنه لا حقّ لأحد منَّا في فضل). [رواه مسلم وأبو داود].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((طَعَامُ الِاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الْأَرْبَعَةِ)) [رواه البخاري ومسلم].

هذه هي الخطبة السادسة عشرة في سلسلة: "قرأت في كتاب"، أختار لكم فيها فوائد منثورة، في كتب قرأتها أو بعضها؛ ليفيد المرء علماً وعملاً.

عنوان خطبة اليوم:

(الصَّدَقَات المنثورة)

قرأت في كتاب عنوانه: [التكافل الاجتماعي في الإسلام] للدكتور عبد العال أحمد عبد العال -أستاذ الحديث والتَّفسير بجامعة الأزهر وجامعة أم القرى- باباً عن ينابيع التكافل الاجتماعي في الإسلام، والمراد بالينابيع: الوسائل والآليات التي شرعها الإسلام ليضمن للأمة العدالة الاجتماعية من خلال التكافل الاجتماعي.

عَدَّ المؤلف من هذه الوسائل والآليات عشراً، هي: الزكاة، وزكاة الفطر، والنفقات على الأقارب، وإحياء الموات، والخراج، والعشور، والوقف، والكفارات، والنذور، والأضاحي، وتكلم أخيراً عن الصَّدَقَات المنثورة على الطبقات الفقيرة.

وأنا أحب أن أقرأ عليكم شيئاً مما جاء في هذه الوسيلة الأخيرة، المعبرة عن التكافل الاجتماعي، والدَّاعمة للعدالة الاجتماعية، لحاجة المسلمين لها في الأوقات عامة وفي الأزمات خاصة.

واسمحوا لي -أولاً- أن أقصَّ عليكم قصةً من قصص العرب.

قالت نوار امرأة حاتم: أصابتنا سنة اقْشَعَرَّت لها الأرض، واغبرَّ أفق السماء، وضَنَّت المراضع على أولادها فما تبِضّ بقطرة، وحَلَقت السنة المال، وأيقنَّا بالهلاك. فوالله إنا لفي ليلة باردة، بعيدة ما بين الطرفين؛ إذ تضاغى صبيتُنا جوعاً، عبد الله وعَدِي وسفانة، فقام حاتم إلى الصبيين، وقمت أنا إلى الصبية، فوالله ما سكتوا إلا بعد هدأة من الليل، وأقبل يعلّلني بالحديث، فعرفتُ ما يريد فتناومت، فلما تهورت النجوم، إذا شيء قد رفع كِسر

البيت ثم عاد؛ فقال: من هذا؟ قالت: جارتك فلانة، أتيتك من عند صبية يتعاوون عواء الذئاب، فما وجدتُ معوّلاً إلا عليك يا أبا عدي. فقال: أعجليهم فقد أشبعكِ الله وإياهم.

فأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشي بجانبها أربعة، كأنها نعامة حولها رِئالُها. فقام إلى فرسه فوجَأ لبّته بمدية فَخَرَّ، ثم كشطه عن جلده، ودفع المدية إلى المرأة، فقال لها: شأنَك.

فاجتمعنا على اللحم نشوي بالنار، ثم جعل يمشي في الحي يأتيهم بيتاً بيتاً، فيقول: هُبّوا أيها القوم، عليكم بالنار، فاجتمعوا، والتفع [أي: التَحَفَ] في ثوبه ناحية ينظر إلينا، فلا والله إن ذاق منه مُزعة، وإنّه لأحوج إليه منا، فأصبحنا وما على الأرض من الفرس إلا عظم وحافر، فأنشأ حاتم يقول:

مهلاً نوار أقلّي اللوم والعذَلا ... ولا تقولي لشيءٍ فات ما فعلا

ولا تقولي لمالٍ كنتُ مُهلِكَه ... مهلاً وإن كنتُ أعطي الإنسَ والخَبَلا

يرى البخيل سبيل المال واحدة ... إن الجواد يرى في ماله سبلا

قال في الصَّدَقَات المنثورة على الطبقات الفقيرة: (حرصاً على مصالح الطبقة المحتاجة وقضاءً على الفوارق بين طبقات الأمة، دعا الإسلام إلى الإنفاق عامةً، وأعدَّ النفوس للبذل والعطاء قياماً بحق الله وحق العباد.

وخصّ ذوي الحاجة في الجماعة الإسلامية بالذكر والحضِّ على البِرّ بها في آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وتصرفاته، وذلك ما يسمَّى بالصَّدَقَات المنثورة، أي إنها تكون من غير تحديد لمقدارها المعطى.

ففي الآية التي تعدد أعمال البر يقول الله تعالى: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ [البقرة:177]. وابن السبيل: هو المسافر المنقطع، غنياً كان أو فقيراً؛ إذ أُصيبت نفقته، أو فُقِدَت، أو أصابها شيء، أو لم يكن معه شيء.

وعندما وصف القرآن الأبرار جعل من خصائصهم إطعامَ المحتاجين، فقال: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:8].

وجعل الذي يقْسُو على اليتيم، ويحرِمُ المسكين، أولَ من يُكذِّب بالدِّيْن: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون:1-3].

وختم السُّورة بقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون:5-7]. والماعون: المعونة.

وقصَّ علينا أن المجرمين حين يُسْألون يوم القيامة: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾، يقولون: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ [المدثر:42-45].

ونجد أن القرآن أطلق عنوان العَقَبة التي تحول بين المرء وسعادته على عتق الرقيق أو إطعام اليتيم والمسكين: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد:11-18].

وقد أُشْرِبَتْ روحُ رسول الله صلى الله عليه وسلم حُبَّ الفقراء والمساكين، والعملَ على قضاء حاجاتهم، فكان صلى الله عليه وسلم كثير الصَّدَقَات والنفقات عليهم والحدبَ والرعاية لأمورهم.

شكت السَّيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً للنبي صلى الله عليه وسلم نَصَبَها من أعمال البيت، وطلبت إليه أن يُخْدِمَهَا خادماً فرفض، وقال: ((**لَا أُعْطِيكُمْ وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تُطْوَى بُطُونُهُمْ مِنْ الْجُوعِ**)) [رواه البيهقي وأحمد].

وسَرَت هذه الرُّوح العظيمة إلى زوجاته أمهاتِ المؤمنين رضي الله عنهنَّ، فكنَّ يتصدقنَّ بما فَضَلَ عن حاجاتهنَّ، فقد أرسل عمر بن الخطاب اثني عشر ألفاً من الدَّراهم إلى زينب

بنت جحش -وهي نصيبها من مال البحرين الذي جاء به أبو هريرة رضي الله عنه-، فلما وصل عندها المال تصدَّقت به).

وحدَّث الإمام مالك في الموطأ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ مِسْكِينًا سَأَلَهَا وَهِيَ صَائِمَةٌ، وَلَيْسَ فِي بَيْتِهَا إِلَّا رَغِيفٌ، فَقَالَتْ لِمَوْلَاةٍ لَهَا: أَعْطِيهِ إِيَّاهُ، فَقَالَتْ: لَيْسَ لَكِ مَا تُفْطِرِينَ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: أَعْطِيهِ إِيَّاهُ، قَالَتْ: فَفَعَلْتُ، قَالَتْ: فَلَمَّا أَمْسَيْنَا، أَهْدَى لَنَا أَهْلُ بَيْتٍ أَوْ إِنْسَانٌ مَا كَانَ يُهْدِي لَنَا شَاةً وَكَفَنَهَا -أي ملفوفة بالخبز-، فَدَعَتْنِي عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَتْ: كُلِي مِنْ هَذَا، هَذَا خَيْرٌ مِنْ قُرْصِكِ.

أيها الإخوة:

هذا شيء مما قرأت في الصَّدَقَات المنثورة وإننا اليوم أحوج ما نكون إلى أن يبذل الغني، وأن يستعفَّ الواجد، وأن يعين بعضنا بعضاً.

عن الحسن البصري قال: لقد عهدت المسلمين وإن الرجل فيهم يصبح يقول: يا أهلاه يا أهلاه يتيمَكم يتيمَكم، يا أهلاه يا أهلاه مسكينَكم مسكينَكم، يا أهلاه يا أهلاه جارَكم جارَكم.

فيا أيها الإخوة: استوصوا بأنفسكم وأهليكم وجيرانِكم ومَنْ حولَكم خيراً.

أخرج ابن مردويه عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((يقول الله عز وجل: وارتفاعي فوق عرشي، ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهتُ من معصيتي ثمَّ تحولوا عنها إلى ما أحببتُ من طاعتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي.

وما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما أحببتُ من طاعتي ثمَّ تحولوا عنها إلى ما كرهتُ من معصيتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من غضبي)).

والحمد لله رب العالمين